منهج الخطيب في المسائل المتعلقة بعلوم القرآن

Al-Khaṭīb's Methodology in Addressing Issues Related to the Qur'anic Sciences

[1] **طلال عوض الله أبو عصبة**، باحث في الدراسات القرآنية، طالب دكتوراة جامعة النجاح الوطنية: نابلس.

[2] **محسن سميح الخالدي**، مؤسسة دكتوراة في أصول التفسير، جامعة النجاح الوطنية: فلسطين.

تاريخ الاستلام: 2026/11/01 تاريخ القبول: 2026/11/02 تاريخ النشر: 2026/11/06

ملخص:

يشمل تتناول هذه الدراسة منهج عبد الكريم الخطيب في المسائل المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، من خلال كتابه "التفسير القرآني للقرآن"، وتهدف إلى التعريف بالمؤلف وتفسيره، وبيان منهجه في تناول مباحث علوم القرآن، والكشف عن أبرز آرائه واختياراته في هذه المسائل.

وقد اشتملت الدراسة على مبحثين رئيسين؛ تناول المبحث الأول التعريف بعبد الكريم الخطيب، وبيان أبرز ملامح حياته العلمية، والتعريف بتفسيره من حيث منهجه وطريقة عرضه وتنظيمه، أما المبحث الثاني فقد خُصص لدراسة منهجه في المسائل المتعلقة بعلوم القرآن، ومن أبرزها: أسباب النزول، والقراءات القرآنية، والنسخ، والحروف المقطعة، والإعجاز القرآني، والوحي، وغيرها من المسائل ذات الصلة.

واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي في تتبع المسائل المتعلقة بعلوم القرآن في تفسير الخطيب وجمعها، والمنهج التحليلي في دراسة آرائه وبيان طريقته في عرضها ومناقشتها.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها: عناية الخطيب بتناول عدد من مباحث علوم القرآن ضمن تفسيره، واهتمامه بالتأمل والاجتهاد في فهم الآيات وبيان وجوه إعجاز القرآن الكريم، واستفادته من تفسير القرآن بالقرآن والسنة، كما أظهرت الدراسة وجود بعض الملاحظات على منهجه، من حيث عدم التوسع في بعض المسائل، وقلة التعرض لبعض الروايات المتعلقة بأسباب النزول والقراءات، وتعدد الأقوال في تفسير الحروف المقطعة دون ترجيح واضح في بعض المواضع، فضلًا عن وجود بعض الآراء التي تحتاج إلى مزيد من الاستدلال والتوثيق.

الكلمات المفتاحية: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، علوم القرآن، أسباب النزول، القراءات، الإعجاز القرآني.

Abstract:
This study examines Abdul Karim Al-Khatib's methodology regarding issues related to Quranic sciences as presented in his book "The Quranic Exegesis of the Quran" (Al-Tafsir Al-Qur'ani lil-Qur'an). The study aims to introduce the author and his exegesis, clarify his approach to handling the core topics of Quranic sciences, and uncover his most prominent views and preferences on these matters.

The study comprises two main sections. The first section introduces Abdul Karim Al-Khatib, highlighting the key aspects of his scholarly life, and explores his exegesis in terms of its methodology, presentation style, and organization. The second section is dedicated to examining his methodology regarding issues related to Quranic sciences, most notably: the reasons for revelation (Asbab al-Nuzul), Quranic recitations (Qira'at), abrogation (Naskh), the disjointed letters (Al-Huruf al-Muqatta'ah), Quranic inimitability (I'jaz), revelation (Wahy), and other relevant topics.

The study adopts an inductive approach to track and collect the topics of Quranic sciences within Al-Khatib's exegesis, alongside an analytical approach to examine his views and clarify his method of presenting and debating them.

The study reached several key findings, most prominently: Al-Khatib's significant care in addressing numerous topics of Quranic sciences within his exegesis, his dedication to reflection and scholarly reasoning (Ijtihad) in understanding the verses and demonstrating the aspects of Quranic inimitability, and his utilization of interpreting the Quran through the Quran itself and the Sunnah. However, the study also revealed certain critiques of his methodology, such as the lack of elaboration on specific issues, minimal engagement with certain narrations regarding the reasons for revelation and recitations, and presenting multiple opinions on the disjointed letters without a clear preference in some instances, in addition to some views that require further evidence and documentation.

Keywords: Abdul Karim Al-Khatib, The Quranic Exegesis of the Quran, Quranic Sciences, Reasons for Revelation, Recitations, Quranic Inimitability.

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإن علوم القرآن الكريم من أجلّ العلوم الشرعية وأعظمها قدرًا؛ لما لها من أهمية في فهم كتاب الله تعالى، والكشف عن معانيه وهداياته، وقد اعتنى العلماء والمفسرون بهذه العلوم عناية كبيرة، وتنوعت مناهجهم في تناول مسائلها وبيان أحكامها، ومن بين هؤلاء المفسر عبد الكريم الخطيب، الذي قدّم في تفسيره "التفسير القرآني للقرآن" منهجًا خاصًا في التعامل مع الآيات والمسائل المتعلقة بعلوم القرآن.

وتتناول هذه الدراسة التعريف بعبد الكريم الخطيب وكتابه التفسيري، وبيان منهجه في عدد من مسائل علوم القرآن، من خلال دراسة تعامله مع أسباب النزول والقراءات القرآنية والنسخ وغيرها من المسائل، مع تحليل آرائه ومناقشتها وبيان مدى موافقتها لأقوال العلماء، وذلك للوصول إلى تصور واضح عن منهجه العلمي، وما تميز به من اجتهادات، وما يمكن أن يُسجَّل عليه من ملاحظات.

مشكلة الدراسة:

تأتب هذه الدراسة لتجيب عن التساؤلات التالية:

- من هو عبد الكريم الخطيب، وما تفسيره؟
- ما منهج الخطيب في التفسير؟

أهداف الدراسة:

- التعريف بالمفسّر عبد الكريم الخطيب وبتفسيره.
- بيان منهج الخطيب في التفسير.

خطة الدراسة:

المبحث الأول: التعريف بعبد الكريم الخطيب، وتفسيره:

المبحث الثاني: منهج الخطيب في التفسير:

المبحث الأول: التعريف بعبد الكريم الخطيب، وتفسيره

المطلب الأول: التعريف بعبد الكريم الخطيب

هو المفكر الإسلامي، الباحث، المفسّر، واسمه عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب. ولد سنة 1910م، 1328هـ في قرية الصوامعة التابعة لمركز طهطا بصعيد مصر، تعلّم في كتّاب القرية، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الأولية بالقرية، وحصل على البكالوريا من تجهيزية دار العلوم، والتحق بمدرسة دار العلوم، وتخرج فيها سنة 1937م. اشتغل مدرّساً بالمدارس الابتدائية بالتعليم الحر، ثم مدرّساً بمدرسة الصنائع بسوهاج، ثم بمدرسة المعلمين بقنا، ثم أسيوط، ثم بمدرسة المنيرة الابتدائية بالقاهرة، ثم نُقل إلى المدرسة السعيدية. ثم عمل سكرتيراً برلمانياً لوزير الأوقاف حتى أُحيل إلى المعاش بقرارٍ جمهوريٍّ بعد اعتقاله في السجن الحربيّ ثمانية شهور سنة 1959م، وعمل مدرّساً بكلية الشريعة في الرياض.

كان رضيَّ النفس، عذبَ الحديث، سمحَ الخلق، صفيَّ الذهن والقريحة، أخرج ما يربو على الخمسين مؤلفاً في علوم القرآن، والسنة النبوية، والعقيدة، والتفسير، والفكر، ومقارنة الأديان، والسيرة، والرد على شبهات الملاحدة، إضافة إلى المئات من المقالات في الصحف المصرية والعربية، والأحاديث الدينية في الإذاعات المسموعة، والمرئية، في مصر والسعودية، توفي في شهر صفر سنة 1406هـ، 1985م.[1]

المطلب الثاني: تعريف عام بتفسير الخطيب:

المسألة الأولى: وصف عام لكتاب التفسير القرآني للقرآن للخطيب وهيكليته:

وفي هذا المطلب ثلاثة محاور:

أولا: تقسيم الخطيب لتفسيره:

قسّم الخطيب تفسيره إلى خمسة مجلدات وستة عشر كتاباً وفي كل مجلد ثلاثة كتب وفي كل كتاب فسر جزأيْن من القرآن الكريم باستثناء المجلد الأخير حيث حوى أربعة كتب، فسَّر في الكتاب الثالث عشر منها؛ الجزء الخامس والعشرين، والسادس والعشرين، وفسَّر في الكتاب الرابع عشر الجزء السابع والعشرين، والثامن والعشرين، وفي الكتاب الخامس عشر فسَّر الجزء التاسع والعشرين، وفي الكتاب السادس عشر الجزء الثلاثين، وبذلك يكون الكتاب الخامس عشر والسادس عشر هما الكتابان الوحيدان اللذان فسَّر فيهما الخطيب جزءاً واحداً من القرآن الكريم وبقية الكتب اشتمل كل كتاب على

تفسير جزأين من القرآن الكريم. وعدّ الصفحات في تفسير الخطيب يبدأ من بدء المجلد الى نهايته وليس من بدء كل كتاب.

ثانيا: مقدمة تفسير الخطيب:

قدّم الخطيب لتفسيره بمقدمة تحدث فيها بعد الحمد والثناء على أهمية القرآن الكريم للأمة والعلاقة بين تمسك الأمة بالقرآن الكريم والاهتمام به، وما ينال الأمة من الخير والسلامة، وبيَّن ابتعاد الأمة عن القرآن الكريم وتفريطها به وما ينالها من الانحلال والتفكك وواقع الأمة يشهد لذلك[2].

وربط الخطيب في مقدمته بين مائدة السماء لبني اسرائيل من المنِّ والسلوى وموقفهم إزاء هذه النعمة، وبين مأدبة الله المُنزّلة على المسلمين وهي القرآن الكريم وما يمثله من الشفاء، والرحمة، وغذاء الروح، وذكر أنَّ صحبة الأمة للقرآن الكريم لم تقم على العدل والإحسان، بل إنّ هناك جفوة في العلاقة مع القرآن الكريم، وذكر لذلك سببين رئيسين وهما: الخلافات السياسية والمذهبية التي وقعت بين المسلمين، وتعويل المسلمين على الفقه وتعلق العلماء به أكثر من تعلقهم بكتاب الله تعالى[3]. ويمكن الاتفاق مع الخطيب بشكلٍ جزئيٍّ في أنَّ الخلافات االمذهبية والسياسية شكّلت حاجزاً عند البعض فحجز عنهم بعض هدايات القرآن الكريم وأنواره المتعلقة بإصلاح النفوس والمجتمعات وذلك في خضم تركيزهم على ما يؤيّدون به أصول مذاهبهم وقواعدها، والحقيقة أنَّ هذا لم يحجب أنوار القرآن الكريم وهدايته بالكلية عن عموم الأمة، وإنما حجبها عمَّن انشغل بذلك عن ذلك، كبعض الفرق من الإسماعيلية، والشيعة، والخوارج، وغلاة المتصوفة وغيرهم.

ومن جهة أخرى فقد بالغ الخطيب في نسبة الجفوة بين الأمة والقرآن الكريم إلى الفقه والتعلق به، فقط رافق المذاهب الفقهية والتفسير الفقهي والاهتمام بآيات الأحكام اهتمام علماء الأمة بالقرآن الكريم في مجالاته المختلفة، وهناك عشرات التفاسير لم يكن جُلّ اهتمامها الفقه عبر الأزمنة المختلفة كتفسير الطبري 310 هـ، والزمخشري 338هـ، وابن الجوزي 597هـ، والرازي 606هـ، وأبو حيان 745هـ، وابن كثير 774هـ، حتى بعض التفاسير التي اهتمت بالجانب الفقهي لم تغفل الجوانب الأخرى في تفسير القرآن الكريم كتفسير القرطبي 671هـ

وختم الخطيب مقدمته بحديثه عن الحاجة إلى طول التأمل والتدبر لكتاب الله تعالى حتى يتحقق لنا أمران وهما:

أولا: الاتصال الوثيق بكتاب الله تعالى القائم على المعرفة؛ حتى يتحقق التجاوب مع مفردات القرآن الكريم وتوجيهاته.

ثانيا: تصور مسائل الدين تصوراً واضحاً بلا ذيول ولا معلقات؛ حتى يكون المسلم على بيّنة فيما أحلَّ الله تعالى و فيما حرّم [4].

ووضع الخطيب بعد مقدمته عنواناً ووسمه بـ"دراسات حول القرآن الكريم"، ووضع تحت هذا العنوان عنوانَيْن آخرَيْن وهما[5]:

1- المكيّ والمدنيّ: وعرّف المكيّ ما نزل بمكة، والمدنيّ ما نزل بالمدينة، وبذلك خالف المشهور عند جمهور العلماء بتعريف المكيّ والمدنيّ؛ وهو أنَّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة وإنْ نزل بغير مكة، والمدنيّ ما نزلَ بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة[6]، لذلك وصف بعض الآيات أنها ليست مدنية؛ لأنها نزلت خارج المدينة[7] كقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم)[8].

ورتّب الخطيب سور القرآن الكريم تحت هذا العنوان حسب أولها نزولاً، وابتدأ بالمكيّ، وذكر أنَّ أولها نزولاً العلق، وأحصاها خمسة وثمانين سورةً مكيةً، ورتّب سور المدنية مبتدئاً بالبقرة والتي اعتبرها أنها نزلت بالمدينة، وأحصى المدنية تسعة وعشرين سورةً، وذكر فاتحة الكتاب منها، وذكر أنَّ ثمَّة خلاف في مكيّتها ومدنيّتها إلا أنّه في مقدمة تفسيره لسورة الفاتحة ذكر أنها مكية، وذكر قولاً بتعدد نزولها ورفض هذا القول[9]، والغريب ذكره لها ضمن السور المدنية، وفي تفسيره لسورة المسد ذكر أنَّ الفاتحة نزلت قبلها وهذا يؤكد مكيتها[10]، وهو الراجح.

2- عدد آيات القرآن الكريم وكلماته وحروفه: ذكر الخطيب الاختلاف في عدد آيات القرآن الكريم ولم يرجّح، وذكر إجماع العلماء على عدد كلماته وذكر قولَيْن في عدد الحروف وبينهما فارق كبير؛ ففي القول الأول ذكر أنها ثلاثمائة وواحد وعشرون ألف حرف، وفي القول الثاني ثلاثمائة وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً والفارق بين القولَيْن كبير.

ثالثاً: فهرسة التفسير:

جعل الخطيب في بداية كل كتاب من كل مجلد بعض العناوين التي يتناولها في هذا الكتاب ووضعها تحت عنوان من مباحث هذا الكتاب وهذه العناوين مرتبطة بآية أو مجموعة من الآيات يضع لها الخطيب عنواناً خاصاً، ويتوسع في بحثها، وغالبا ما تكون هذه العناوين في المسائل التي يكون للخطيب فيها رأي جديد سواء انفرد به، أو فيه مخالفة لجمهور المفسرين، أو وسّع فيه المعنى.

رابعا: خاتمة التفسير:

ختم الخطيب تفسيره بالدعاء وبيّن أنه انتهى منه يوم الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة 1390هـ السابع والعشرين من يوليو 1970م، وذكر أنه كان ينوي أنْ يُلحق بخاتمة التفسير تعريفاً بالمؤلف، يتناول فيه حياته، وثقافته، وأحداث عصره التي أثّرت به، ثم عزف عن ذلك ليبقى تفسيره خالصاً من كلِّ ما ليس من صميمه؛ لذلك عزم على أنْ تكون الكتابة عن المؤلف في كتاب خاص ليبقى تفسيره خالصاً من كل ما ليس من التفسير[11].

وخُتمت الطبعة بكلمة شكر من رئيس مطبعة السنة المحمدية لكلِّ من ساهم في إسداء النصح والتوجيه للمُفسّر، ولكلِّ من شارك في طباعة التفسير[12].

ووضع الخطيب ملحقاً نهاية التفسير صوّبَ فيه بعض الأخطاء التي وقعت في التفسير مبيّناً الصفحة والسطر والخطأ وتصويبه، ثم وضع فهرساً عامّاً حوى جميع القضايا التي عالجها الخطيب في التفسير والتي كانت عناوين فهارس لكلِّ كتابٍ من كتب التفسير[13].

المسألة الثانية: طريقة الخطيب في عرض تفسير السورة

بيان طريقة الخطيب في عرض تفسير السورة من خلال أمرَيْن:

الأول: مقدمة تفسير السورة:

يبدأ الخطيب في تفسير كل سورة في سور القرآن الكريم بمقدمة قصيرة يتناول فيها بعض المسائل على النحو الآتي:

1) مكيّة السورة ومدنيّتها.

قد يذكر الخطيب أنّ السورة مكية بالإجماع أو بلا خلاف[14]. وقد يذكر أنها مدنية بالإجماع[15]، وقد يذكر أنَّ السورة مكية إلاّ بعض آياتها دون بيان الآيات المستثناة منها[16]، وقد يذكر أنَّ بعض الآيات المستثناة من السورة مُختَلف في مكيتها ومدنيتها كما في الإسراء[17]، وقد يحدّد الآيات المستثناة من مكية السورة كما في الشعراء[18] وقد يذكر أنَّ السورة مدنية إلا آية منها كما في المائدة[19]، وقد يذكر خلافاً في مكية السورة ومدنيتها ويرجّح كما في سورة الفاتحة[20]، والرعد؛ حيث يذكر الخلاف في الرعد مرجّحاً مكيّتها من خلال نظمها ومضمون آياتها التي يغلب عليها الطابع المكي[21]، وكذلك الحج حيث رجّح مدنيتها وتسميتها في الحج؛ ولأنَّ الحج بعد الهجرة[22].

وأحياناً يتحدث الخطيب عن زمان نزول السورة كما في البقرة، حيث ذكر أنها نزلت بعد الهجرة[23] والأنفال بعد غزوة بدر2هـ[24]، والفتح بعد صلح الحديبية[25]، والنصر الذي يرجح أنها نزلت قبل فتح مكة[26]،

وقد يذكر السورة والسورة التي نزلت قبلها كآل عمران بعد البقرة والأنفال[27]، والنمل بعد الشعراء[28]، وطه بعد مريم[29]، وسور القرآن في الجزأين التاسع والعشرين والثلاثين، ذكر كل سورة والسورة التي نزلت قبلها.

2) أسماء السور إنْ وُجدت

يذكر الخطيب اسم السورة وأسماءها الأخرى إنْ وُجدت مبيّناً سبب التسمية[30]، وقد يذكر أسماء السور دون بيان سبب التسمية. وفي موضع وحيد في القرآن الكريم اعترض على اسم سورة قرآنية وهي سورة الإسراء، والتي ورد في الأثر أنها سورة بني إسرائيل واعتراضه على هذه التسمية من وجوه[31]:

أ) يرى أنَّ هذا الاسم من مسائل اليهود، حيث يريدون من هذه التسمية أنْ يكون حديث الإسراء خافتاً ولا يُذكر إلا عند تلاوة آية الإسراء ولا يكون للإسراء ذكر عند الحديث عن سور القرآن الكريم.

ب) يقول إنه من المستبعد أنْ يكون لبني إسرائيل سورة تُسمى باسمهم وإنْ كان لأبي لهب سورة تُسمّى باسمه، ثم إنّ هناك سوراً في القران الكريم تناولت قصص بني إسرائيل أكثر من الإسراء وكان الأَوْلى أنْ تُسمّى باسمهم؛ كالبقرة، والأعراف، وطه، ولم تُسمّ باسمهم.

ت) ما أدخله الإسرائيليون على حديث الإسراء من زور الأحاديث التي ترفع من قدر النبي _صلى الله عليه وسلم_، والهدف بعث الشك والاتهام حوله ويمكن الرد على الخطيب من وجوه:

أ) هذا من استعجالات الخطيب وعدم تعمقه في علم الحديث وإهماله لتفسير المأثور، فلو أنه رجع إلى كتب الحديث لوجد أنّ هذا الاسم توقيفيّ كما في البخاري[32]، وقد عقد الترمذي باباً وسمّاه "وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ"[33].

ب) لو سلّمنا للخطيب بأنّ الاسم ليس توقيفياً فإنّ ذلك لا يحجب الاسم التوقيفي وهو الإسراء، فالسور التي تعددت أسماؤها لم تجد أن تلك الأسماء حجبت الاسم التي اشتهرت به السورة.

ت) الواقع يخالف قوله؛ فهذه التسمية لم تحل دون بقاء قضية الإسراء وفلسطين حاضرة مركزية على مدار التاريخ الاسلامي.

ث) هناك ثمة سؤال وهو: ما دليل الخطيب على أنّ هذه الروايات مدسوسة؟ فحديثه عنها عام، فهو لم يعرضها ولم ينقدها نقداً حديثياً.

ج) إذا كان يستبعد أنْ تُسمّى سورة باسم بني اسرائيل؛ لأنَّ في ذلك تشريف لهم وهم ليسوا أهلاً لذلك، فإنَّ في القرآن الكريم سورة المطففين، والمنافقون، والكافرون، وهذه السور ليست تشريفاً لهذه الفئات بقدر ما فيها وصف لطباعهم وضلالهم حتى لا يقع فيه المؤمنون.

ح) قوله أنَّ في القرآن سورة أبي لهب فهذا غير صحيح.

خ) قوله بوجود سور أفاضت بالحديث عن بني إسرائيل ولم تُسمّ باسمهم، فمن باب أَوْلى ألا تُسمّى الإسراء باسمهم؛ لأنها لن تتناول قصصهم كما تناولتها تلك السور، فهذا مردود؛ وذلك لأنَّ تسمية سور القرآن الكريم ليس مرتبطاً بمدى توسع السورة حول من سُميت باسمهم؛ فسورة يونس لم تذكر سوى آية عن يونس _عليه السلام_ والشواهد على ذلك كثيرة.

د) قوله أنَّ التسمية مدسوسة يحتاج إلى بحث مُعمَّق سيّما أنَّ الخطيب يردُّ جُلَّ أحاديث الإسراء ما صحّ منها وما لم يصحّ[34].

3) بيّن الخطيب من خلال مقدمة تفسير سور القرآن الكريم أنَّ أول ما نزل العلق[35]، وآخر ما نزل التوبة[36].

4) عدد الآيات والكلمات والحروف في كل سورة:

بيّن الخطيب في مقدمة تفسيره لكل سورة عدد آيات والسورة، وكلماتها، وحروفها، باستثناء سورة مريم[37]، والرحمن[38]، والواقعة[39]، إذ اكتفى بذكر عدد الآيات دون الكلمات والحروف.

5) المناسبات:

اهتم الخطيب بالمناسبات اهتماماً بالغاً في أثناء تفسيره، واللافت أنّه في بداية كل سورة يُعَنْوِن بعنوان مناسبتها لما قبلها، وهذا في معظم سور القرآن الكريم، وفي بعض الأحيان يبيّن المناسبة دون أنْ يُعَنْوِن لها خاصة في النصف الأول من القرآن الكريم[40]، وسيتحدث الباحث بشكل أوسع عن منهجه في المناسبات عند الحديث عن منهجه في التفسير.

الثاني: بداية تفسير الخطيب للسورة القرآنية

يُقسّم الخطيب كل سورة من سور القرآن الكريم إلى مقاطع، وليس هناك منهجية واضحة في تقسيمها؛ فربما يكون المقطع آية، أو مجموعة من الآيات، وحتى لو كان هناك مجموعة من الآيات يجمعها موضوعاً واحداً فإنه لا يفسّرها قطعةً واحدةً؛ بل يقسمه إلى أجزاء كما في الآيات التي تحدثت عن المتّقين، أو التي تحدثت عن المنافقين، أو التي تناولت قصة آدم في سورة البقرة. والخطيب لا يفسّر الآيات من خلال المأثور، أو اللغة؛ وإنما يفسرها بما توصل إليه اجتهاده ونظره فيها في الغالب الأعم.

وإنْ كان هناك كلمات تحتاج إلى توضيح فإنه يبيّن معانيها، وكلما يصل إلى عنوان من العناوين التي وضعها في أول الكتاب فإنه يتوسع فيها ويستطرد في الحديث عنها.

المبحث الثاني: منهج الخطيب في التفسير

قبل البدء في بيان منهج الخطيب في التفسير من خلال استقراء الباحث لتفسيره، لا بد من بيان ما ذكره الخطيب في مقدمة تفسيره من أصول وأسس لفهم وتدبر النص القرآني وهي على النحو الآتي[41]:

1- تفسير القرآن بالقرآن، فهو يرى أنَّ صحبته للقرآن الكريم تقوم على النظر في آيات الله وكلماته، ولا يخطُّ في تفسيره غير ما يسمح له هذا النظر للوقوف على أسرار القرآن الكريم.

2- تفسير القرآن بالسنة، لأنها التطبيق العمليّ الشارح لكتاب الله تعالى.

3- الابتعاد عن الذيول، والمعلقات، وطنين المقولات الكثيرة التي جاءت من كلّ حدب وصوب.

4- تذوّق أساليب البيان.

5- الابتعاد عن الخلافات الفقهية التي كانت سبباً في تمييع الدين.

6- الابتعاد عن الخلافات المذهبية، والسياسية التي جاءت بالكثير من الأقوال المتضاربة والتي أوّلوا من خلالها آيات القرآن الكريم على غير وجهها، واستندوا إلى الأحاديث الضعيفة والمكذوبة.

والملاحظ أنّ الخطيب لم يلتزم بهذه الأسس فقد خطَّ في تفسيره غير ما يسمح به النص القرآني، وأهمل تفسير القرآن بالسنة، وردَّ الكثير من الأحاديث الصحيحة قبل الضعيفة، ولم يبتعد عن الذيول والمعلقات فأدرجها حيث يريد، وتعرَّض للخلافات المذهبية والفقهية وسيتبيّن ذلك من خلال هذا المبحث.

المطلب الأول: منهج الخطيب المتعلق بأسباب النزول:

يُلاحظ في منهج الخطيب في التعامل مع روايات أسباب النزول أنه كثيراً ما يهملها ويتجاهلها في تفسيره وقليلاً ما يذكرها، فالكثير من الآيات التي ورد فيها سبب نزول رغم صحة هذه الروايات واشتهارها واتفاق المفسّرين عليها، وصريح عباراتها، إلاّ أنَّ الخطيب كان يفسّر هذه الآيات دون أيِّ ذكرٍ لتلك الروايات، كما في الروايات الواردة في قوله تعالى: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ...)[42]، وفي قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً...)[43]، وفي قوله تعالى: (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا..)[44]، وبعد استقراء الباحث لتفسير الخطيب وجد أنَّ أسباب النزول التي ذكرها في تفسيره لا تتجاوز الثلاثين سبباً. وهي تقسم إلى قسمَيْن:

الأول: يذكر سبب النزول ليردّه في ثلاثة عشر موضعاً في تفسيره ويتبيّن من خلالها الآتي:

1- يذكر سبب النزول ليردّه ويبيّن سبب ردّه للرواية، وهذا في جُلّ الروايات التي ردّها، فهو لا يردّ الرواية لضعفها؛ وإنّما لعدم موافقتها للعقل والسياق كما في سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ...)[45]، فيرى الخطيب أنَّ الروايات التي وردت في سبب نزولها واهية لا معقول لها، ويرى أنَّ هذه الروايات تتناقض مع أخلاق العرب، وأدب النبوّة، وأدب الصحابة، وما جاء في الآية على لسان النبي _صلى الله عليه وسلم_ هو لسان الحال وليس لسان المقال[46]، رغم أنّ سبب نزولها ذكره الواحدي[47]، والعديد من كتب التفسير[48]، ولو أنه ناقش المسألة من جهة صحّة الرواية من عدمها لكان الأَوْلى، إلا أنه يسارع إلى ردِّ الرواية وإنْ وردت في الصحيح؛ لعدم معقوليتها كما يقول، ومثال ذلك رده لسبب نزول قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا..)[49]و ويرى أنَّ هذه الروايات غير صحيحة وإنْ وردت في كتب السنة الصحيحة لعدم معقوليتها ويبيّن بطلانها عقلاً[50]، رغم ورود الروايات في الصحيحَيْن[51].

2- قد يذكر سببَيْن للنزول ويردّهما، فعند تفسيره لقوله تعالى: (وما كان لنبيٍّ أن يغل...)[52]، يقول: الذي عليه المفسرون أنها نزلت في قطيفة حمراء اختفت من الغنائم يوم بدر فقال بعض المنافقين: لعلَّ النبي _صلى الله عليه وسلم_ أخذها، وقيل: أنها نزلت في أحداث أحد حيث ترك جماعة الرماة مكانهم[53]، وردّه لهذه الروايات ليس من جهة نقد الأسانيد والروايات؛ وإنما من جهة العقل وعدم ملاءمتها للسياق.

3- قد يردّ سبب النزول ويعزو ذلك إلى تعارض الروايات وتضاربها كما في سبب نزول قوله تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيَنَّ مالاً وولداً...)[54]، حيث يرى أنَّ الروايات في سبب نزولها متعارضة ومتضاربة وهذا يدعو لإسقاطها جميعاً وعدم الأخذ بواحدة منها[55]، ولو أنَّ الخطيب اكتفى بما ورد من سبب نزول في الصحيحَيْن لما قال بالتعارض والتناقض، إذ إنَّ الرواية التي وردت في الصحيحَيْن[56] ليس فيها أيّ تعارض كما زعم الخطيب.

الثاني: يذكر سبب النزول ويقبله ويلاحظ عند قبوله للرواية الآتي:

1- يذكر رواية سبب النزول بالمعنى دون ذكر الإسناد، ويشير إليه إشارة سريعة كما في سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها المزمل..)[57]،[58].

2- قد يذكر روايتَيْن مختلفتَيْن في سبب نزول الآية دون أنْ يرجّح واحدة على الأخرى كما في سبب نزول قوله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان..)[59]، فذكر أنها نزلت في عمار بن ياسر، وفي رواية أخرى أنها في رجل قتل على يد مسيلمة الكذّاب[60].

3- يقدّم الرواية الضعيفة على الصحيحة في بعض الأحيان كما في سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها النبي لِمَ تحرّم ما أحل الله لك ...)[61] حيث يذكر أنَّ المفسرين ذكروا عدة روايات في سبب نزول الآية ويذكر قصة مارية حين أدخلها النبي _صلى الله عليه وسلم_ حجرة حفصة _رضي الله عنهما_ وغضبت حفصة لذلك، وهذه الرواية فيها عبد الله بن شبيب[62]، وهو من المجروحين[63]، ويرى الخطيب أنَّ هذه الرواية أقرب إلى مفهوم الآية[64]، ويترك رواية البخاري التي تتحدث عن شربه _صلى الله عليه وسلم_ للعسل في بيت حفصة، واحتيال زوجاته عليه[65].

4- يستعير سبب نزول مشهور لآية ويضعه على آية أخرى كما في سبب نزول سورة الضحى ووضعه سبباً لنزول قوله تعالى: (وما نتنزل إلا بأمر ربك...)[66]، وذكر أنّها نزلت فترة فتور الوحي[67]، فهذا السبب الذي وضعه لهذه الآية هو لسورة الضحى، وسبب نزول هذه الآية كما في البخاري: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ: «أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟»، قَالَ: فَنَزَلَتْ: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا}"[68].

5- قد يذكر سبب النزول ويُفهم منه أنه يشكّك في صحته كما في سبب نزول قوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله ...)[69] فيذكر أنها نزلت في ثعلبة ويقول: "إن صحّ ما روي فيه"[70].

ويمكن القول أنَّ الخطيب يقبل سبب النزول دون النظر في صحة الرواية وضعفها ما دام ذلك يتناسب مع العقل والسياق، ويرفض سبب النزول وإن كان صحيحاً إذا لم يستطع مواءمته مع العقل والسياق.

المطلب الثاني: منهج الخطيب في تناول القراءات

لم يولِ الخطيب اهتماماً كبيراً في القراءات، فهو من المُقلّين في تناولها، فقد ذكرها في تفسيره في بضع وعشرين موضعاً[71]، ويمكن بيان منهجه فيها على النحو الآتي:

1- يستشهد الخطيب أحياناً بالقراءات المتواترة ولا يصرّح بتواترها، وقد يوجّه القراءة لغوياً كما في قوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها...)[72]، حيث ذكر قراءة (ننسأها)[73]، فعلى القراءة الأولى يكون المعنى النسيان بحيث يجعل الناس ينسونها؛ أي أنَّ الله تعالى يعفّي بعض شرائعه التي شرعها وأحكامه التي فرضها في أجيال الماضين، وعلى القراءة الثانية يكون النّسَأ من التأخير، أي أنَّ الله تعالى يؤخر نسخ آية إلى أجل معلوم كما في نسخ القبلة[74]، وقد يوجهها بلاغياً كما في قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا)[75]، حيث ذكر قراءتها بغير العطف (الذين اتخذوا..)[76]، وقال: قراءة أهل المدينة بغير العطف

وذلك على الاستئناف وابتداء عرض وجه آخر من وجوه المنافقين، وقرئ بالعطف وهي القراءة المشهورة وعليها ينتظم سلك المنافقين على وجه واحد على تقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً[77].

2- قد يستشهد الخطيب بالقراءة الشاذة دون ذكر شذوذها ويوجهها نحوياً كما في قوله تعالى: (سورة أنزلناها ...)[78] فسورة خبر لمبتدأ؛ أي هذه سورة وقرئت سورةً بتقدير ناصب لها استقبل سورةً أو اقرأ سورةً[79]، وقراءة (سورةً) شاذة[80]، وقد يأتي بقراءة شاذة دون ذكر شذوذها لتدل على معنى آخر في الآية كما في قوله تعالى: (حتى يلج الجمل في سم الخياط)[81]، فذكر معنى الجمل على الحقيقة ويأتي بقراءة شاذة وهي (الجمّل) وهو الحبل المجدول الذي جمع عدة حبال[82]، وفي قوله تعالى: (لقد تاب الله على النبي..)[83]، فذكر المعنى في الآية أنَّ الله تعالى غفر للنبي كل هنة تمس من مقام النبوة، وذكر قراءة قرأها الرضى علي بن موسى (بالنبي) والمعنى هنا فيه تكريم للمهاجرين والأنصار أن ينظمهم مع هذا الكوكب الدري[84].

3- قد يستشهد بالقراءة الشاذة على المعنى الذي يريد رغم تصريحه بشذوذها كما في قوله تعالى: (فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أَيْمانكم إذا حلفتم)[85]، فذكر الخطيب الخلاف في تتابع الصيام وذكر قراءة ثلاثة أيام متتابعات، وبيّن أنَّ فريقاً لم يعوّل عليها لعدم تواترها، إلا أنه استشهد بها على المعنى الذي يريد، فرأى أنَّ ثلاثة أيام متتابعات هو الذي يعدل إطعام عشرة مساكين وكسوتهم[86].

4- قد يذكر الخطيب عدة قراءات في الآية دون تمييز المتواترة منها والشاذة، ويحيل القارئ إلى كتب التفسير، كما في قوله تعالى: (وقيله يا رب ...)[87]، فذكر الخطيب أنَّ (قيله) تُقرأ بفتح اللام، وبكسرها، وبضمها، ولكلِّ قراءة تأويل مبسوط في كتب التفسير[88]، والمتواتر من هذه القراءات كسر اللام وفتحها[89].

5- قد يذكر قراءة أخرى في الآية ويردّها بدلالة السياق كما في قوله تعالى: (ونادى نوح ابنه)[90]، فذكر قراءة (ابنها) وردّها بدلالة السياق[91]، وكذلك في قوله تعالى: (أفلم ييأس الذين آمنوا...)[92] فذكر قراءة (يتبين) وبين بطلانها[93].

6- قد يأتي بقراءة أخرى في الآية ويبيّن الخلاف الفقهي الذي انبنى على تلك القراءة كما في قوله تعالى: (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)[94]، فبيّن أن (أرجلكم) قرئت بالنصب، والجر، وهما متواترتَيْن[95]، وبيّن الخلاف الفقهي فيها وبنى رأياً مستقلاً عن غيره من المفسرين بناء على هاتَيْن القراءتَيْن[96].

المطلب الثالث: موقف الخطيب من النسخ

اهتمَّ الخطيب بمسألة النسخ اهتماماً كبيراً حتى أفرد لها عنوانَيْن مستقلَّيْن في تفسيره؛ أحدهما[97] عند تفسيره لقوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها)[98]، والآخر[99] عند تفسيره لقوله تعالى: (وإذا بدلنا آية مكان آية)[100] وقد تحدث فيما يزيد عن الثلاثين صفحة عن معاني النسخ والمنسوخ، وخلاف العلماء فيه بين القائلين به والرافضين له، ويمكن تلخيص موقفه من النسخ من خلال الآتي:

1- يرى أنَّ الخلاف بين المفسرين في مسألة النسخ كان نتاج الخلاف في فهم قوله تعالى: (ما ننسخ من آية)، وبناء عليه أخذ الفريق الذي يقول بالنسخ بظاهر الآية فبدأوا يبحثون على شواهد لآيات منسوخة في القرآن الكريم[101].

2- يرفض الخطيب النسخ لأنَّ فيه عزلاً للآية المنسوخة عن الحياة، والاحتفاظ بها في القرآن الكريم ليس إلا كالاحتفاظ بجثث الأموات محنّطة في توابيت وذلك مما يُنزّه عنه كلام الله تعالى[102].

3- فسّر الخطيب معنى النسخ في آية البقرة أنها تُحمل على معنيين؛ الأول: النسيان ويستشهد على ذلك بقول لأبي بكر الرازي إنّ الله تعالى ينسيهم إياه بالإعراض عنه فيندرس مع الأيام كما في كتب الله تعالى القديمة كصحف إبراهيم وموسى والتي لا يعرف منها شيء اليوم. والثاني: يأخذه من القراءة الثانية (ننسأها)، والنسأ التأخير أي أنَّ الله تعالى يؤخّر نسخ آية إلى أجل معلوم كما أخّر التوجه إلى بيت المقدس منذ وجَّه المسلمون وجوههم إليه في الصلاة، فالنسخ في الآية يمثل دفاعاً عن إرادة الله تعالى في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، فجاءت الآية كمقدمة وقوة لهذا الأمر يستند إليها المسلمون في دفع كَيْد اليهود، وكلا المسجدين آية من آيات الله تعالى؛ إذ قاما بأمره وأفاض عليهما من فضله، فإذا نسخ المسجد الحرام المسجد الأقصى فإنما هو نسخ آية بآية وتبديل نعمة بنعمة[103].

4- يفسر الآية التي يستشهد بها بعض العلماء على النسخ في سورة النحل في قوله تعالى: (وإذا بدلنا آية مكان آية) على أنَّ التبديل هنا ما يفعله محمد _صلى الله عليه وسلم_ بتوجيه من جبريل _عليه السلام_ من نقل آية من القرآن المكيّ من سورة مدنية، أو آيات مدنية ونقلها إلى سور مكية[104].

5- كلُّ آية يرفض الخطيب القول بنسخها يبيّن الحكمة والمقصد منها كما في قوله تعالى: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى....)[105] يرفض القول بنسخها بآية المواريث، ويبيّن العدل الإلهي والحكمة السماوية من إعمال هذه الآية؛ لما فيها من تربية للأمم، ودعم لبنائها، وتحقيق التضامن الاجتماعي، وحماية المجتمع من أنْ تدخله آفات التباغض والتحاسد[106]، وعمد الخطيب إلى الآيات التي قيل بنسخها ويسلك مسلك الجمع بينها وشواهد ذلك كثيرة[107]، وهذا المسلك الذي سلكه الخطيب لجأ إليه بعض

المفسرين[108]، لا للقول بإلغاء النسخ؛ وإنما لتضييق دائرته فبدل القول بنسخ مئات الآيات أو العشرات منها فيمكن تضييق دائرته كما فعل فضل عباس حيث حصر الآيات المنسوخة ببضع آيات[109]، فالمسلك الذي سلكه الخطيب معهود عند بعض المفسرين إلا أنّ الخطيب أعمله في جميع الآيات، بل ويتكلف أحياناً في رفضه للنسخ كما في قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك...) فهو يرفض القول بنسخها بقوله تعالى: (لا يحل لك النساء من بعد...)، فالمعنى الذي ذهب إليه الخطيب أنَّ الآية الثانية جاءت للتخفيف على النبي _صلى الله عليه وسلم_ بالوقوف عند هذا الحد من التزوج بالنساء فالحكم بالإباحة في (يا أيها النبي إنا أحللنا لك) موقوف إلى أنْ نزل (لا يحلّ لك النساء)، فتوقف العمل بهذه الرخصة، وهذا ليس من النسخ كما يقول الخطيب وإنما هو إنهاء لرخصة موقوتة[110]، وكلام الخطيب هنا فيه تكلُّف في نفي النسخ في الآيتين، إذ قد يُجاب عليه بأنَّ النسخ قد يأتي للتخفيف من جهة، ومن جهة أخرى قد يأتي لرفع حكم موقوت، حيث يتوقف العمل بهذا الحكم عند نزول الآية الناسخة، فمضمون كلام الخطيب يتوافق مع روح النسخ رغم نفيه له، ويرفض الخطيب النسخ بالسنة من باب أَوْلى سيّما إذا كان الحديث آحاداً[111].

المطلب الرابع: موقف الخطيب من الإعجاز في القرآن الكريم

بيان إعجاز القرآن الكريم من أُولى مهمات المفسر، وقد أَوْلاه الخطيب عناية بالغة، وقد أفرد للإعجاز كتاباً يربو على الخمسمائة صفحة، وبيّن فيه أنَّ قضية الإعجاز القرآني تمثّل حقيقة الحقائق أودعه الله تعالى في كلمات نُظمت نظم الدر المكنون، فكانت قلائد من البيان الربانيّ العربيّ[112]، وقد أحال الخطيب لهذا الكتاب في أكثر من موضع في تفسيره في أثناء الحديث عن إعجاز القرآن[113]، فكان الخطيب كلما مرَّ بآية يرى فيها دلائل الإعجاز كان يقف معها ويبيّن موطن الإعجاز فيها، وقد تناول الخطيب أكثر من وجه من وجوه الإعجاز في تفسيره وهي على النحو الآتي:

أولا: الإعجاز البيانيّ

وقف الخطيب مع الإعجاز البيانيّ وقفات طويلة وكثيرة فمئات الآيات فسّرها الخطيب واسترسل فيها متحدِّثاً عن نظم القرآن وبلاغته حتى بلغ فيه القول إنَّ إعجاز القرآن في نظمه لا انفكاك له عن كلِّ آية في كتاب الله تعالى، بل وفي كل حرف من حروفه[114]، ويقول: إعجاز القرآن الكريم ليس في معانيه وإن كانت معانيه معجزة في سموِّها واستوائها على ميزان الحق، والعدل، والإحسان، ولكنَّ المعجزة المتحدِّية في القرآن الكريم هي نظمه الذي جاء عليه، وبلاغة هذا النظم الذي أعجز منطق العرب وأخرس ألسنتهم[115]، فالخطيب لم يترك باباً من أبواب البلاغة إلاّ وشمّر ساعد الجدّ عن كشفه للقارئ بلغة سهلة رقراقة.

فالقارئ في تفسير الخطيب يجده يتحدث عن التقديم والتأخير[116]، ويسترسل في بيان روعة تشبيهات القرآن[117]، ومجازه[118]، وما فيه من ذكر وحذف[119]، وعود الضمائر[120]، والتضمين[121]، والفروق اللغوية[122]، ومعاني الحروف[123]، وأسرار التكرار[124]، والفاصلة القرآنية[125]، والجمع والإفراد[126]، والالتفات[127]، كما يتعمق في بحث دلالة اختيار المفردة القرآنية[128]، والتعريف والتنكير[129]، والقسم[130]، وتعدية الأفعال[131]، واهتمَّ بالبنية الصوتية للكلمة القرآنية، ونظمها في السياق القرآني، وهو ما سمّاه الإعجاز الموسيقيّ أو الصوتيّ، ومن صور الإعجاز البيانيّ عند الخطيب الحروف المقطَّعة بدايات السور القرآنية، ولم يكتفِ الخطيب بإبراز هذه الوجوه للإعجاز البيانيّ؛ بل كان يقف عند أسرار النظم القرآني ومقاصده، واكتفى الباحث بالإشارة إلى هذه المحاور التي تحدث عنها الخطيب في تفسيره؛ حتى لا يطول البحث فيها، فالأمثلة كثيرة وموفورة في تفسيره ويمكن جمعها في رسالة علمية خاصة، ولكن هناك محورين لا بد من الوقوف عليهما؛ لما للخطيب فيهما من رأي يحتاج إلى نقاش وهما:

1- الإعجاز الصوتيّ والموسيقيّ

تحدث الخطيب عن الإعجاز الصوتيّ في مواضع مختلفة من تفسيره[132] ويتبيّن للباحث من خلال النظر في هذه المواضع الملاحظات الآتية:

أ- طَرَقَ الخطيب هذا الباب من غير ضوابط منهجية، واكتفى بالانطباع الذاتيّ الذي يجده في نفسه وهو انطباع لا يخضع لمعيار سوى وجدانه، ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: (وجاء المعذرون من الأعراب..)[133]، يتحدث عن الفعل جاء في امتداد مقطعه، وتذبذب أنغامه، بين همس الواو، وجهر الجيم، وخطف الهمزة، حيث يرسم صورة مكتملة الألوان والظلال للمنافقين في طريقهم إلى النبي _صلى الله عليه وسلم_ متحاملين متثاقلين تدور أعينهم هنا وهناك؛ حذراً من أن تفضحهم أعذارهم التي بين أيديهم، يسوقونها على النبي _صلى الله عليه وسلم_ ويدفعون بها في خوف واضطراب وخطف[134]، فواضح من خلال كلام الخطيب اعتماده على انطباعات نفسية، وليس على منهجية علمية تقوم على المكوّنات الصوتية للكلمة وربطها بالمعنى، وإلاّ فكيف يفسّر الخطيب الدلالة الصوتية للفعل (جاء) في قوله تعالى: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[135]؟ ، وفي قوله تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل)[136] ؟ وغيرها من الشواهد التي لا تُعين على المعنى الذي ذهب إليه الخطيب.

ب- يبدو التكلف واضحاً لدى الخطيب عند حديثه عن الإعجاز الصوتيّ؛ فالناظر في تفسيره لقوله تعالى: (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها .....)[137] يقول: " وانظر في «لمّا» هذه، واستمع إلى ما يقع لأذنك من نغمها الممتد المتماوج، وما فيه من رعشة واهتزاز، تجد أنها تحكى في دقة وروعة تلبّث القوم، وتلكاهم واضطراب خطوهم، قبل أن يؤمنوا، ويستقيموا على طريق الحق!..."[138]، وهذا الكلام لا يمكن

التسليم له سيّما أنَّ كلمة (لمّا) جاءت في سياقات كثيرة في القرآن الكريم تنقض الدلالات التي تحدّث عنها الخطيب كما في قوله تعالى: (ولمّا أن جاء البشير...)[139]، فأيّ تلكؤ في خطوات البشير ؟! والحقيقة أنَّ البشير كان يسارع الخطى؛ حتى يصل أباه بقميص يوسف.

ت- وَصْفه للقرآن بأوصاف نربأ بالقرآن وننزهه عنها وذلك في أكثر من موضع في تفسيره[140]، فعند تفسيره لسورة المسد تحدّث الخطيب عن نظم السورة حيث أنها تُغري أن تكون أغنية يتغنّى بها الولدان، ويحدوها الركبان، ويتناشد بها الرعاة، ولا نحسب إلا أنها كانت بعد أيام من نزولها نشيداً مُردّداً في طرقات مكة، ثم قسّمها الخطيب إلى مقاطع بحيث تصلح للنشيد، أو للحداء، أو لنشيد الرعاة[141]، فلو تحدث عن الحس الصوتي، أو القشرة الصوتية لكان أنسب من هذه الأوصاف التي لا تليق بمكانة القرآن الكريم وقداسته، ولا يرى الباحث أنَّ الخطيب قصد الحطَّ من مكانة القرآن الكريم أو التقليل من قيمته، وإنما لم تسعفه التعابير ليوصل ما يريد، وهنا لا بد من التنبيه إلى أنَّ الدلالة الصوتية للنظم القرآني لا بد أن تقوم على ضوابط ومحدّدات أشار إليها الباحث الدكتور محمد وصفي جلاد في رسالته.

2- الحروف المقطّعة فواتح السور

يبدو اهتمام الخطيب بالحروف المقطعة واضحاً في تفسيره، حيث أفرد لها عنواناً خاصاً عند تفسيره لخواتيم سورة الشورى تحت عنوان "مفهوم جديد للحروف في أوائل السور"[142]، ولم يقف الخطيب موقفاً واحداً تجاه هذه الحروف؛ بل كان له أكثر من رأي ويبدو فيها التشتت وعدم الانضباط، ويمكن إجمال نظراته في هذه المسألة على النحو الآتي:

أ- عند تفسيره للحروف المقطعة بداية سورتَيْ يوسف والرعد ذكر أنَّ القرآن الكريم نُظم من هذه الأحرف فجاء على تلك الصورة من الإحكام والإعجاز[143]، وهذا قريب مما قاله كثير من العلماء والمفسرين[144].

ب-يرى أنَّ هذه الحروف تمثّل الوحدة التي يقوم عليها اللحن الموسيقيّ للسورة، فهي مطلقاً موسيقياً تقوم عليه وحدة النغم في ترتيل آيات السور[145]، وهذا الكلام لا يسلّم له سواء بوصف القرآن بالموسيقى، أو الحديث عن وحدة النغم في السورة خاصة عند حديثه عن وحدة النغم في (الم) في سورة البقرة؛ لأنَّ الناظر في السورة ونظمها وانتقالها بك من الحديث عن أصناف الناس، إلى القصص، إلى الوعد والوعيد، والأحكام، والأخلاق والعقائد، يجد أنها ليست على رتم واحد كما زعم الخطيب، وإذا كانت هذه الفواتح تمثل الوحدة الموسيقية للسورة فلماذا كانت في بعض السور دون غيرها؟.

ت- يرى أنه ليس من الضروري البحث في معاني هذه الحروف فهي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وعند تفسيره لقوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ..)[146] يرى أنَّ الوقف على لفظ الجلالة لازماً، والراسخون في العلم حالهم مع هذا المتشابه حال المؤمنين الذين يقفون من هذا المتشابه موقف العجز والتسليم، وإذا ما سئلوا عنها قالوا: الله أعلم بمراده[147].

ث-يتناقض مع نفسه فيما ذهب إليه في النقطة السابقة فعند تفسيره للحروف المقطّعة بداية سورتي (ق)، (ص) يرى أنَّ هذه الأحرف هي اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته[148]، وفي بداية الشورى يقول أنها أفعال ذات دلالات خاصة يرى من أضوائها النبي _صلى الله عليه وسلم_ ما لا يراه غيره[149].

ج- يرى أنَّ من يعلم معاني هذه الحروف الله _عز وجل_ والراسخون في العلم، وهذا يناقض ما ذهب إليه في موطن آخر أنها مما استأثر الله بعلمها[150].

ح- يرى أنَّ هذه الحروف مقطّعة كل حرف على حدة من المحكم وإذا كانت مجتمعة فهي من المتشابه[151].

خ- يشير إلى أنَّ الوحي الذي تلقّى منه النبي _صلى الله عليه وسلم_ تلك الحروف وحياً خاصاً ولم يكن عن طريق الملك جبريل _عليه السلام_ وإنما إلهاماً من الله تعالى بحيث يجد النبي _صلى الله عليه وسلم_ هذه الكلمات في صدره مستولية على كيانه[152]، ويستشهد على هذا المعنى بقوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا ..)[153]، وحديث: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»"[154] وكلا الدليلَيْن لا يعينان الخطيب على المعنى الذي ذهب إليه؛ فالآية تتحدث عن صور الوحي، والحديث يتحدّث عن معنى ألقاه جبريل _عليه السلام_ في روع النبي _صلى الله عليه وسلم_ وليس هناك إشارة إلى الوحي الخاص للحروف المقطعة لا من قريب ولا من بعيد.

د- يرى اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة معاني هذه الحروف فيه مزيد فضل وشرف[155]، ولكنه في أكثر من موضع أشار إلى أنَّ الذي يعرف معاني هذه الحروف الله، ورسوله، والراسخون في العلم، فأين مزيد الفضل والشرف في المعنى الذي ذهب إليه؟

ذ- يفسّر دلالات هذه الحروف بشكل مجمل على أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ يعرف من خلالها بعض أسرار الغيب فيما يتعلق بالأحداث التي تمر بها الدعوة من هزيمة ونصر، وانتهاء بإعزاز دين الله

تعالى، وهذا ما أعان النبي _صلى الله عليه وسلم_ على تحمّل الخطوب والأهوال[156]، ويتساءل الباحث إذا كانت هذه المعاني مما استأثر النبي _صلى الله عليه وسلم_ به فأنَّى للخطيب أنْ يأتيَ بها ولم يخبرنا عنها النبي _صلى الله عليه وسلم_؟، وإذا قال في بداية تفسير سورتَيْ البقرة، وآل عمران أنّه لا داعي للبحث في معاني هذه الحروف، فلِمَ جاء بهذه التأويلات المختلفة؟.

ر- اعتبر الخطيب الحروف المقطعة جاءت على رأس السور كمفاتيح لها يُفتح بها الخير الذي تحمله السورة من مواعظ وأحكام وهي ذات منزلة خاصة إذا كانت وحياً مباشراً من الله تعالى[157]، وهذا لا يُسلّم به؛ إذ أنَّ كل سور القرآن الكريم مليئة بالأحكام والمواعظ ولم تفتتح كلها بمثل هذه الحروف، ولم يأت خبر عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ ولا عن صحابته الكرام، ولا تابعيهم أنها تمثل هذا المعنى.

من خلال ما سبق يمكن تلخيص موقف الخطيب من الحروف المقطعة بالآتي:

*- هي بالنسبة للخطيب وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

*- تتعدد أقواله فيها بما يُشعر بتناقضه، أو عدم وضوح الصورة، ويأتي لها بتأويلات مختلفة.

*- بعض أقواله ليس لها سند تستند إليه ولا تقوم على دليل، كقوله إنّ هذه الحروف جاءت بوحي خاص دون واسطة ملك.

*- إذا أراد الباحث أن يلتمس للخطيب العذر فيمكن القول بأنه بالعموم يكل المعنى الدقيق لهذه الحروف إلى الله تعالى، ويحاول أن يستشف لها معنى ثانوياً من خلال ربط الحروف بالآيات التي تليها، أو تسبقها كما في سورة يوسف[158]، وطه[159]، وص[160].

ثانيا: الإعجاز الغيبيّ

جعل الخطيب لهذا النوع من الإعجاز عنواناً في تفسيره، وكان العنوان (من أنباء الغيب)، وذلك في معرض تفسيره لسورة الروم عند قوله تعالى: (ألم غلبت الروم....)[161]وذكر أنَّ ما حملت الآيات من الغيب كان يمثّل معجزة مادية محسوسة[162]، وتحدث عن هذا الوجه من الإعجاز عند تفسيره لقوله تعالى: (فلولا كانت قرية آمنت...)[163]، وأشار إلى أنَّ الإعجاز الغيبيّ في هذه الآيات أنّ قريشَ ستأخذ الموقف الذي اتخذه قوم يونس وستكون خاتمة عنادهم الإيمان بالله تعالى والانتفاع بهذا الإيمان[164]، وتحدث عنه كذلك في موضعين في سورة الإسراء[165]، وفي سورة الأنبياء[166]، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (فيه ذكركم..)[167]، وكذلك عند تفسيره لسورة المسد[168].

ويُلاحظ من خلال المواضع التي تحدّث فيها الخطيب عن الإعجاز الغيبي الآتي:

1- صرّح الخطيب بوصف هذا الإعجاز بالغيبيّ كما في سورتَيْ يونس والروم، وفي مواطن أخرى اكتفى الخطيب بالإشارة إلى الإعجاز الغيبي دون ذكر العبارة كما في تفسيره لسورة المسد حيث أشار إلى أنّ الإخبار بأنّ أبا لهب وامرأته من أهل النار ومواجهتهم بهذا الخبر وموتهم على الكفر هو إعجاز من إعجاز القرآن[169].

2- تكلّف الخطيب في بعض المواطن التي تحدّث فيها عن الإعجاز الغيبي كما في تفسيره لقوله تعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل ..)[170]؛ حث يرى أنّ قيام الدولة المغتصبة إسرائيل، وتوجيه الخطاب في الإسراء إلى بني إسرائيل يجعل من العسير أن تدخل هذه الدولة تحت حكم الآية لو اتخذت اسماً غير هذا الاسم وهذا من إعجاز القرآن[171].

ثالثا: الإعجاز النفسي

من وجوه الإعجاز التي تناولها الخطيب في تفسيره الإعجاز النفسي وتحدّث عنه تحت عنوان: (من الإعجاز النفسي في القرآن) عند تفسيره لقوله تعالى: (يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب ...)[172]، فيرى أنَّ الصورة المعجزة التي قدّمها القرآن الكريم لمسارب النفس ومجرى الخواطر في تقديم ضحايا الفداء لا يمكن أنْ يقع على هذا الوجه إلا بحساب دقيق محكم لاتجاهات النفس، وهذه الدقة البالغة الإحكام في تصوير الحقائق وانتزاعها من أغوار النفس لا تكون في غير القرآن الكريم، ولا تجيء إلا من تلقائه، حيث القدرة المعجزة والبيان المفحم[173]، وتحدّث عن هذا النوع من الإعجاز عند تفسيره لقوله تعالى: (يوم يفر المرء من أخيه...)[174]، وعند قوله تعالى: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين)[175].

وينبغي الإشارة في ختام هذا المطلب إلى أنَّ الخطيب لم يتحدّث عن الإعجاز العلمي صراحة وإن كان له اهتمام بالتفسير العلميّ لبعض الآيات القرآنية[176]، وكذلك الإعجاز التشريعيّ لم يتعرض له صراحة، وإنْ كان له اهتمام بالغ بالمقاصد القرآنية، والحكمة، والغاية من الكثير من التشريعات[177].

رابعا: نزول القرآن

تناول الخطيب عدَّةَ محاور فيما يتعلق بنزول القرآن وهي على النحو الآتي:

1- المكيّ والمدنيّ: لم يكن الخطيب من المُكثرين في الحديث عن المكيّ والمدنيّ سوى ما ذكره في مقدمة التفسير، ومقدمات تفسيره للسور القرآنية، وفي بعض المواضع القليلة أثناء تفسيره للسور القرآنية، فتحدث عن بعض الآيات من حيث مكيتها ومدنيتها؛ فكان يذكر القول فيها مُوافقاً أو مُخالفاً، مُعلّلاً ذلك بالاستناد إلى السياق، ومنطوق الآية في الغالب[178]، وقد يستند إلى المأثور تارة[179]، وإلى التحليل العقليّ تارة[180]، وحكمة التشريع تارة أخرى[181]، وقد يذكر الخلاف دون ترجيح[182]، وقد يذكر الخلاف في

وقت نزولها في المدينة كما في سورة النصر؛ فهناك من قال: أنها نزلت قبيل وفاته _صلى الله عليه وسلم_، وهناك من قال أنها نزلت قبل الفتح، وهذا ما يرجّحه الخطيب، فيرى أنها نزلت في أشدِّ المواطن ضيقاً وحرجاً له _صلى الله عليه وسلم_ فقد كانت مدَداً من الله تعالى له[183]، إلا أنَّ الخطيب في موطن آخر يشير إلى أنها من أواخر ما نزل من القرآن الكريم لتُؤذن بمصافحة السماء للأرض مصافحة وداع[184].

2- أوّل ما نزل وآخر ما نزل:

يرى الخطيب أنَّ أول ما نزل من القرآن سورة العلق[185]، وآخر ما نزل سورة التوبة على أرجح الأقوال[186]. وفي مقدمة تفسيره لسورة البقرة ذكر أنها أول ما نزل في المدينة[187]، وفي تفسيره لسورة التوبة ذكر أنَّ أول ما نزل في المدينة سورة الأنفال[188]، رغم أنه بداية تفسيره لسورة الأنفال ذكر أنها نزلت بعد بدر في السنة الثانية للهجرة[189]، وعلى هذا لا تكون أول ما نزل في المدينة، ويرى أنّ آخر آية نزلت[190] قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم..)[191]

3- الوحي

عند تفسير الخطيب لقوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا..)[192] بيّن أنَّ الوحي لا يخرج عن صور ثلاثة وهي[193]:

أ- أنْ يكون الاتصال بين الله تعالى ورسوله _صلى الله عليه وسلم_ رمزاً وإشارةً؛ بحيث لا يعرف دلالة ما يوحي إليه إلا _الرسول صلى الله عليه وسلم_ وحده.

ب-أنْ يكلم الله تعالى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ من وراء حجاب.

ت- أنْ يكون بواسطة رسول من عالم الروح يرسله الله حاملاً آياته وكلماته إلى الرسول البشريّ.

ويرى الخطيب أنَّ الوحي للحروف المقطعة يقع على الصورة الأولى من صور الوحي، وأنَّ وحي القرآن الكريم من غير الأحرف المقطعة يكون من خلال جبريل لفظاً، ومن الله تعالى معنى، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه..) فالضمير في قرآنه عائد على الله _عز وجل_ وجبريل _عليه السلام_[194]، وهنا يقدّم الخطيب صورة جديدة من صور الوحي تجمع بين الصورة الأولى والثانية.

ويسترسل الخطيب في الحديث عن هذا الموضوع تحت عنوان (وحي القرآن ووحي السنة) حيث يقول: إنَّ الحالة التي كان يعانيها محمد _صلى الله عليه وسلم_ ليست إلا لأن الله تعالى يتجلى عليه أثناء تلقّيه الوحي من جبريل _عليه السلام_، ويرى أنَّ هذه المعاناة انفرد بها النبي _صلى الله عليه وسلم_ دون غيره من الأنبياء؛ لأنَّ الأنبياء كانت تأتيهم رسل الوحي على صور بشرية كاملة ، وأقرب الأنبياء إلى محمد

صلى الله عليه وسلم في تلقّي الوحي هو موسى _عليه السلام_؛ حيث كان يتلقّى من الله تعالى حقائق المعاني التي يلقيها إليه، ثم يصوغها في الألفاظ التي يراها مناسبة لها، وهذا أخفُّ وطئاً مما يقع على محمد _صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان يقع تحت تلبّس الملك وتجلّي الله _عز وجل_، ويستشهد على هذه الحالة بحديث: " أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ... "[195]. أمّا وحي السنة القولية والفعلية والتقريرية فهذه الكيفية من الوحي يكون فيها الملك الذي يحمل رسالة السماء على صورة بشر ويستشهد على ذلك ببعض الأحاديث[196].

ويردُّ الخطيب على من يسأل عن الصورة الأولى التي التقاها جبريل بمحمد _صلى الله عليه وسلم_ حيث أوحى له دون التلبّس الذي تحدّث عنه، ويقول: عندما غطه جبريل وبلغ من النبي _صلى الله عليه وسلم_ الجهد كان هذا هو التلبس الذي يتحدّث عنه، حيث ينزع جبريل نحو البشرية ومحمد _صلى الله عليه وسلم_ نحو الملائكية، بحيث يجمعهما كيان ملكيّ بشريّ[197].

وكلام الخطيب مخالف لجمهور العلماء حول طبيعة الوحي وكيفيته، وقد جاء في هذه المسألة بما لا يقوم على دليل وليس هنا محل بحثه.

وفي ختام هذا المحور لا بد من الإشارة إلى أنَّ الخطيب يرى في ترتيب سور المصحف بأنه توقيفيّ بعمل النبي _صلى الله عليه وسلم_ وكذلك ترتيب الآيات في سورها، والخلاف الذي يدور في هذا الباب لا بد أنْ يرتفع، مع قيام الشواهد التي تشهد لتلاحم السور من الفاتحة إلى الناس[198].

ويعقد الخطيب عنواناً في تفسيره حول الترتيب النزوليّ للقرآن، ويرفض الدعوات إلى ترتيب القرآن حسب النزول ويرى أنها تمثّل فتنة خاصة مع خلاف العلماء الشديد في ترتيب نزول جُلّ الآيات القرآنية، فالقرآن الكريم نزل منجماً وإنْ كان في مرحلة نزوله على غير هذا الترتيب الذي انتهى إليه بعد تمام نزوله، ويستشهد على الترتيب الختامي الذي انتهى إليه بعد تمام نزوله بحديث: "عَن زِرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: "كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ " قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً، فَقَالَ: "قَطُّ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[199]، فهي كانت كالبقرة في امتدادها وفي العرضات الأخيرة بين جبريل عليه السلام والنبي _صلى الله عليه وسلم_ أخذت الكثير من آيات الأحزاب مواضعها في سور أخرى[200].

ولئن اتفق الباحث مع الخطيب في مضمون ما ذهب إليه في الترتيب النزولي للقرآن إلا أنَّ الخلاف معه في طريقة استدلاله؛ فالحديث الذي استند إليه ضعيف، ثم هو يستدل به على نسخ الحكم، وبقاء التلاوة عند من يحتج به، فاستخدم الحديث في غير مكانه.

الهوامش

[1]) يوسف: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل، تَكملَة مُعجم المُؤلفين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط:1، 1418 هـ - 1997 م، ص20-21. يوسف: محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (1396 - 1415 هـ) = (1976 - 1995 م)، دار ابن حزم، بيروت، ط:2، 1422 هـ، ص317-318. يضاف إلى ذلك كتاب عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية للسيد أبي ضيف المدني.

[2]) الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن، 1/3-4.

[3]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ،1/4-10.

[4]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 11/1

[5]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1/13-16

[6]) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه،(ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات)، 178/1، السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974م، 37/1، الزُّرْقاني: محمد عبد العظيم (ت: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:2، 194/1.

[7]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن ، 1023/3

[8]) المائدة: 3

[9]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن 17/1

[10]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن،1702/16

[11]) الخطيب: عبد الكريم يونس، (1390هـ) التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1753/16-1754.

[12]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1755/16-1757

[13]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1759/6_1767

[14]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 362/4، 928/6، 7/6،146/1228، 209/7، 845/9، 1110/9.وغيرها

[15]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 23/1، 681/2، 692/5، 557/5، 1197/9، 632/11. وغيرها

[16]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 116/4، 267/7، 720/8،

[17]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 405/8.

[18]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 69/10.

[19]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1023/3.

[20]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 17/1.

[21]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج7،ص63

[22]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 907/9.

[23]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 23/1.

[24]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 557/5.

[25]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 393/13.

[26]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1668/16.

[27]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 393/2.

[28]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن ،10 /205.

[29]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 776/8

[30]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 681/2، 416/4، 692/5، 845/9.

[31]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 406/8_407.

32) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، (ت: 256) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:1، 1422هـ، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ} [النحل: 70]، ح4708، ج6/ص82.

[33]) الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط:2، 1395 هـ - 1975م، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ج5/ص300.

[34]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 412/8-432.

[35]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1622/16.

[36]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 692/5.

[37]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 720/8.

[38]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 650/14.

[39]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 703/14.

[40]) السور التي لم يتحدث عن مناسبتها لما قبلها هي البقرة وآل عمران والنساء والأنعام والأعراف والأنفال ويوسف وإبراهيم .

[41]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1/3-12.

[42]) التوبة: 113.

[43]) الجمعة : 11.

[44]) المنافقون: 7.

[45]) المجادلة: 11.

[46]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (831/14).

[47]) النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1411 هـ، ص431.

[48]) الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 145/26، الواحدي: التفسير البسيط، 346/21، الرازي: مفاتيح الغيب، 493/29، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 297/17، النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 0/6،247، البقاعي: نظم الدرر، 378/13، الشربيني: السراج المنير، 229/4، الصابوني: صفوة التفاسير، 321/3، الحجازي: التفسير الواضح، 335/3.

[49]) الأحزاب:28

[50]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (688/11-689)

[51]) البخاري: صحيح البخاري، 4786/117/6، مسلم: صحيح مسلم، 1475/1103/2.

[52]) آل عمران: 161.

[53]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 630/2.

[54]) مريم: 77.

[55]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 767/8.

[56]) البخاري: صحيح البخاري، 4732/94/6، مسلم: صحيح مسلم،2795/2153/4.

[57]) المزمل: 1

[58]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1248/15.

[59]) النحل: 106

[60]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 376/7-377.

[61]) التحريم: 1

[62]) الواحدي: أسباب النزول، 459.

[63]) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، الضعفاء والمتروكون. تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1406هـ، 126/2، الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط:1، 1422هـ - 2002 م، 149/11، الجرجاني: أبو أحمد بن عدي (ت: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض وآخرون، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط:1، 1418هـ1997م ، 430/5.

[64]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1023/14.

[65]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيل، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ احْتِيَالِ المَرْأَةِ مَعَ الزَّوْجِ وَالضَّرَائِرِ، وَمَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، 6972/26/9.

[66]) مريم: 64

[67]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 751/8.

[68]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (4/ 3218/112)

[69]) التوبة:75.

[70]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 852/5.

[71]) ربما سقط من الباحث بعض المواضع في أثناء استقراءه للتفسير.

[72]) البقرة: 106

[73]) ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان - الأردن / عمان، ط:1، 1421هـ - 2000م، 293.

[74]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 150/1.

[75]) التوبة: 107

[76]) ابن الجزري: تحبير التيسير في القراءات العشر، 393.

[77]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 894/6.

[78]) النور: 1.

[79]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1200/9.

[80]) ابن حيان: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 6/8.

[81]) الأعراف: 40.

[82]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 399/4-400.

[83]) التوبة: 117.

[84]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 909/6.

[85]) المائدة: 89.

[86]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 14/4.

[87]) الزخرف: 88.

[88]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 175/13.

[89]) ابن الجزري: تحبير التيسير في القراءات العشر، 550.

[90]) هود: 42.

[91]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1144/6.

[92]) الرعد: 31.

[93]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 124/7.

[94]) المائدة: 7.

[95]) ابن الجزري: تحبير التيسير في القراءات العشر، 345.

[96]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 142/3.

[97]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 120/1.

[98]) البقرة: 106.

[99]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 361/7.

[100]) النحل: 101.

[101]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 121/1.

[102]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 161/1.

[103]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 128/1-150.

[104]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 361/7-365.

[105]) النساء: 8.

[106]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 159/1-160.

[107]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 151/1-163.

[108]) ابن عطية: المحرر الوجيز، 390/1، الرازي: مفاتيح الغيب، 6/5، 293/493، 383، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 327/3، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 60/10.

[109]) عباس: إتقان البرهان، 31/2.

[110]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 741/11-743.

[111]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 198/1.

[112]) الخطيب: إعجاز القرآن، 18.

[113]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 6/1، 66/1191.

[114]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 137/1.

[115]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن،170/10.

[116]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 3/2، 354/4، 1152/4، 345/5، 367/5، 437، 574/5، 976/5، 1200/6، 839/8، 996/9، وغيرها.

[117]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 36/1، 354/2، 987/6-989، 164/7، 767/14، 549/14-550.

[118]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 86/1، 333/2، 973/9، 1000/9.

[119]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 373/4، 371/4، 1284/6، 636/8، 302/14.

[120]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 3/2، 748/350، 966/3، 234/4، 604/5، 1062/6، 325/7.

[121]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 889/5، 119/7، 841/8، 922/9، 1013/9، 543/11.

[122]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 390/2، 399/2، 123/4، 613/5-614، 667/8، 871/9، 851/11.

[123]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 514/2، 547/2، 1009/3، 725/5، 1068/6، 17/7، 285/7.

[124]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 123/4، 1160/6، 702/8، 177/13، 1413/16، وقد عقد فصلا في تفسيره تحت عنوان التكرار في القصص القرآني 96/10-134.

[125]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 254/7، 276/7، 533/14، 599/14، 1007/14، 1628/16.

[126]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 717/2، 117/4، 1001/5، 1122/6، 907/9، 872/11.

[127]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 984/5، 184/7، 279/7، 330/7، 818/8، 263/10، 161/13.

[128]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 792/8، 565/8، 1025/9، 1134/9، 326/13.

[129]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 190/7، 567/8، 847/9، 960/9، 226/10، 361/13، 912/14.

[130]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 735/14، 1148/15، وقد أفرد لها عنوانا في تفسيره 732/14.

[131]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 771/5، 1040/6، 1098/6، 755/8، 1059/9.

[132]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 864/5، 1087/6، 602/8، 576/8، 1150/6، 1247/6، 1308/15، وأفرد عنواناً خاصاً في تفسيره عن هذه المسألة عند تفسيره لسورة الرحمن تحت عنوان "سورة الرحمن ونظمها"651/14.

[133]) التوبة: 90.

[134]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 864/5.

[135]) الفجر: 22.

[136]) الإسراء: 81.

[137]) يونس: 98.

[138]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1087/6.

[139]) يوسف: 96.

[140]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 651/14-655.

[141]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1707/16-1708.

[142]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 89/13.

[143]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 929/6، 65/7.

[144]) الزجاج: معاني القرآن، 56/1، الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 137/1، ابن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، 121/1، الماوردي: النكت والعيون، 65/1، الراغب الأصفهاني: تفسير الراغب، 70/1، الزمخشري: الكشّاف، 30/1، ابن عطية: المحرر الوجيز، 82/1، الرازي: مفاتيح الغيب، 253/2، البيضاوي أنوار التنزيل: 33/1، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 160/1، ابن عجيبة: اللباب في علوم الكتاب، 258/1، الشوكاني: فتح القدير، 34/1، رضا: تفسير القرآن الحكيم، 103/1.

[145]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 25/1-26، 1087/15.

[146]) آل عمران: 7.

[147]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 25/1-26، 403/2-406، 92/13.

[148]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1047/12.

[149]) المرجع السابق، 16/13.

[150]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 364/4، 147/7، 721/8، 905/11.

[151]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 599/11.

[152]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 17/13، 91،92،97.

[153]) الشورى: 51.

[154]) الشافعي: المسند، 233، قال الألباني: صحيح، الألباني: تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، 19.

[155]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 93/13.

[156]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 93/13.

[157]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 93/13-94.

[158]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن،1230/6-1231.

[159]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 777/8

[160]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن،1047/12.

[161]) الروم: 1

[162]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن،475/11-478

[163]) يونس: 98

[164]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن،1088/6

[165]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 424/8، 455.

[166]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 853/9

[167]) الأنبياء: 10

[168]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1710/16.

[169]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1710/16.

[170]) الإسراء: 4

[171]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 455/8

[172]) المعارج: 11

[173]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1162/15-1167.

[174]) عبس: 34.

[175]) الزخرف: 52

[176]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 227/7، 245/10، 1050/15.

[177]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 263/1، 368/2، 756/3، 720/11، 737/11.

[178]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 950/9، 400/7، 270/13-271.

[179]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 670/14

[180]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 779/11، 738/14.

[181]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1488/16

[182]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1118/15

[183]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1700/16

[184]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 641/11

[185]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1621/16.

[186]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 693/5

[187]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 23/1

[188]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 694/5.

[189]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 557/5.

[190]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 641/11.

[191]) المائدة: 3.

[192]) الشورى: 51

[193]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 16/13، 17، 97.

[194]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1324/15.

[195]) البخاري: صحيح البخاري، 2/6/1

[196]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1325/15-1328.

[197]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 1331/15.

[198]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 541/14-542.

[199]) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، 21207/134/35، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

[200]) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 632/11-644.

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية
- ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان -الأردن / عمان، ط:1، 1421هـ-2000م.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، الضعفاء والمتروكون. تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1406هـ
- ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة
- ابن حيان: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. بيروت: دار صادر.
- ابن عجيبة: اللباب في علوم الكتاب

- ابن عطية: عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، (ت: 256) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:1، 1422هـ
- البقاعي: نظم الدرر
- البيضاوي: عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل. طبعة: 1, بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط:2، 1395 هـ -1975م.
- الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن
- الجرجاني: أبو أحمد بن عدي (ت: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض وآخرون، الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط:1، 1418هـ1997م.
- الحجازي: التفسير الواضح
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط:1، 1422هـ -2002 م.
- الخطيب، عبد الكريم يونس، (1390هـ) التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الرازي: محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد. تفسير الراغب. الرياض دار الوطن.
- رضا: تفسير القرآن الحكيم
- الزجاج: إبراهيم بن السري. معاني القرآن. طبعة:1, سنة: 1408هـ. بيروت: عالم الكتب.
- الزُّرْقاني: محمد عبد العظيم (ت: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:2.

- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، 1376 هـ -1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الزمخشري: محمود بن عمرو. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974م.
- الشافعي: المسند
- الشربيني: محمد بن أحمد . السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد. فتح القدير. بيروت: دار ابن كثير.
- الصابوني: محمد علي. صفوة التفاسير. القهرة: دار الصابوني.
- القرطبي: محمد بن احمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- الماوردي: علي بن محمد. النكت والعيون. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المدني، السيد أبو ضيف المدني، عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م.
- النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1.
- النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان
- الواحدي: علي بن أحمد. التفسير البسيط. طبعة:1. سنة: 1430هـ.
- يوسف، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل، تَكملَة مُعجم المُؤلفين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط:1، 1418 هـ -1997 م.
- يوسف، محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي وفيات (1396 -1415 هـ) = (1976 -1995 م)، دار ابن حزم، بيروت، ط:2، 1422هـ.